المحاضرة 7الفصحى واللهجة: تطبيقات في التطور الصوتي

تعدّ التغيرات الصوتية من أبرز التغيرات اللغوية التي يلاحظها دارس اللغة أو اللهجات، ففي كل لغة ترتبط الأصوات بعضُها ببعض ارتباطاً وثيقا، فهي تُكَرون نظاما متجانسا مغلقا، تنسجم أجزاؤه كلّها فيما بينها، لأن اللغة لا تتكوّن من أصوات منعزلة، بل من نظام من الأصوات 1 .وداخل هذا النظام اللغوي المنسجم، تحدث تغيرات صوتية، تختلف باختلاف وضعية الناطقين والظروف المحيطة بهم، فتنشأ بمرور الزمن أصوات جديدة داخل الكلمة، تحتلّ مكان الأصوات القديمة بسبب كثرة الاستعمال.

ويعتبر التطور الصوتي أحدَ الآليات التي يتغير بها شكل اللفظ عبر الزمن، وقد ارتبط هذا التغير باللهجات العربية، سواء في القديم أم في الحديث، يقول إبراهيم أنيس: "أما الصفات التي تتميز بها اللهجة فتكاد تنحصر في الأصوات وطبيعتها وكيفية صدورها، فالذي يميز بين لهجة وأخرى هو بعض الاختلاف الصوتي في غالب الأحيان" 2 .

ويقول عن الإبدال الذي سببه تباين اللهجات العربية القديمة: "حين نستعرض تلك الكلمات التي فسرت على أنها من الإبدال حينًا، أو من تباين اللهجات حينًا آخر، لا نشك لحظة في أنها جميعا نتيجة التطور الصوتي، أي: إن الكلمة ذات المعنى الواحد حين تروي لها المعاجم صورتين أو نطقين، ويكون الاختلاف بين الصورتين لا يجاوز حرفًا من حروفها، نستطيع أن نف ر سرَها على أن إحدى الصورتين هي الأصل، والأخرى فرع لها أو تطور عنها، غير أنه في كل حالة يشترط أن نلحظ العلاقة الصوتية بين الحرفين المبدل والمبدل منه" 1 .

والتطور الصوتي داخل الكلمة يحدث نتيجة تأثير الأصوات المتجاورة بعضها ببعض أثناء التأليف الصوتي، فقد يحدث في الكلام "أن تجتمع أصوات الانسجام فيما بينها، بحيث يشعر المتكلّم بثقلها على لسانه، أو يجد عسراً في تحقيقها، فيهرب من ذلك بتبديل بعض الأصوات ببعض، أو بتعديل بعض صفات الأصوات لتوفير الانسجام" 2 .

وهذه بعض مظاهر التغيرات الصوتية في اللهجة:

1 الإبدال: -

وهو ظاهرة صوتية عرفتها اللغة العربية، وظهر واضحا في لهجاتها قديما وحديثا؛

ومن أمثلة الإبدال في اللهجة:

أ الفعل)ڨعْمَزْ (: ويدل في اللهجة على الجلوس؛ فحين يقول أحدهم لآخر: )ڨَعْمِز(، -

فالمقصود: اجلس. وهذا الفعل لا وجود له في المعاجم، وإنما يوجد فعل )قَعْفَز(، وهو فعل يدل على

الجلوس؛ قال الزبيدي: "قعفز الرجل: جلس جلسة المحتبي، ضامّا ركبتيه وفخذيْه" 5، وهم

يقولون: جلس القَعْفَزَى: وهي جلسة المسْتَوْفِز، وقد اقْعَنْفَز 6 .

فالفعل )قَعْفَز( يدل على الجلوس، واللهجة تستعمل الفعل )قَعْمَزْ(، مما يدل على أن

هناك إبدالا صوتيا حدث بين الفاء والميم، وهذا يقع كثيرا عند العرب.\_\_

2 القلب المكاني: -

وهو العملية التي يتمّ فيها إبدال مواقع الأصوات في الكلمة، فيتغيّر تركيبها بتغيير أصواتها، مع احتفاظ الكلمة بمعناها. وقد عرف العرب هذه الظاهرة وسمّوها القلب، يقول ابن فارس: "ومن سنن العرب القلبُ " ثم يتحدث عن القلب في الكلمة، فيقول: "فأمّا الكلمة فقولهم: )جَذَبَ، وجبَذَ ( و)بكل، ولبَكَ 1 (، وهو كثير وقد صنّفه علماء اللغة" 2

**ب فعل )بَحْلَڨ (:** ويدل في اللهجة على تدقيق النظر؛ فحين يقال: فلان )ايْبَحْلِڨ( يعني -

يركّز النظر على شيء ما.

وهذا المعنى لم تذكره معاجم اللغة لهذا الفعل، وإنما ذكرته لفعل آخر هو )حْْلَق(؛ قال ابن

فارس: "حْْلق، إذا فتح عينه ونظر نظرا شديدا" 4 ، وهو المعنى ذاته لكلمة )بَحْلَق( في اللهجة.

ويبدو أن اللهجة استثقلت فعل )حْْلَق(، لأنه يُفتتح بصوت حلقي بعيد، هو الحاء، ويُختتم بصوت قوي، تحاشته اللهجات بتغييرات كثيرة 5، هو القاف الذي تجتمع فيه عدد من صفات القوة، كالجهر ا ولشدة ا ولاستعلاء ا ولقلقلة. وقد فضّلت اللهجة فعل )بحْلق( لأنه أخف منه، وقد تم الانتقال من من)حْْلَق( إلى )بَحْلَق( عبر تغييرين، هما إبدال وقلب؛ وذلك بإبدال الميم باءً، فصارت حَبْلق، ثمّ حدث القلْب، فتحولت الباء إلى أول الكلمة، فصارت)بحْلق

**التطور الصوتي بين كلمتين:** -

وقد ظهر هذا فيما عرف بالنّحت، والعرب تنحت من كلمتين كلمةً واحدة، كقولهم:

رجل عَبْشَميّ، وهي كلمة منحوتة من كلمتين هما: عبد شمس 1 .

**ومن أمثلة النحت في اللهجة:**

فعل )سَعْسَڨ(: وهو يدل في اللهجة على كثرة السّير والانتقال من مكان إلى مكان. وهذه الكلمة لا وجود لها في معاجم اللغة، ولعلها منحوتة من كلمتي )سعى سعى(، أي أكثر السعي والحركة؛ وفعل سعى في العربية يدل على المشي أو المشي بسرعة ، فحين يقال: فلان يسعى، أي: يمشي، فإذا قيل: )سعى سعى(، فالمعنى يتحرك ويمشي كثيرا، وفيها دلالة على المشي السريع.

ويبدو أن الكلمة المنح وتة أولاً هي )سَعْسَى(، ثم عوّضوا الألف الأخيرة بالقاف، لتكون الكلمة أشد تمكنا في النطق وأقوى ارتكازا، فقالوا: )سَعْسَڨ.

وهكذا فإن اللغة ولهجاتها تنمو وتتطور عبر مراحل حياتها، وذلك يعود إلى أسباب تاريخية،

ونفسية، واجتماعية... وغيرها.